الزهد عند الشيخ عبد الباقي المكاشفي من خلال أشعاره

سعد الدين منصور محمد

(كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية ، قسم دراسة القرآن والسنة أستاذ مشارك)

eldin@iium.edu.my

وطارق عثمان علي منصور

(أستاذ مشارك)ورئيس قسم الدراسات الإسلامية جامعة الجزيرة كلية التربية (الحصاحيصا)

السودان

drtarig99@gmail.com

محمد سعيد المجاهد

(أستاذ مشارك) جامعةالسلطان قابوس، كلية التربية، سلطنة عُمان

almujahed@squ.edu.om

3rd International Conference on Contemporary Scholarship and Islam

Contemporary Issues In Islamic Thought and Comparative Religion

القضايا المعاصرة في الفكر الإسلامي وعلم مقارنة الأديان

https://conference.iium.edu.my/iconcsis3

الزهد عند الشيخ عبد الباقي المكاشفي من خلال أشعاره [١]

ملخص البحث

حيث تتناول الورقة جانب من حياة الشيخ عبد الباقي العلمية والعملية وتقلبات الدهر به، ثم نعرج على دعوته للزهد في الدنيا من خلال تتبع ماتيسر من أشعاره التى صاغها في هذا الشأن، حتى يتجلى لنا منهجه في الزهد والتصوف، ولعلنا نصل إلى نتائج تخدم المؤتمر والمؤتمرين، وسوف نتبع المنهج الاستقرائي في تتبع أشعار الشيخ، والمنهج التحليلي في ذكر شرحها.

الكلمات المفتاحية : المكاشفي ، أشعاره ، الزهد ، التصوف .

[١] **سعد الدين منصور محمد** (كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية ، قسم دراسة القرآن والسنة أستاذ مشارك) eldin@iium.edu.my **وطارق عثمان علي** منصور أستاذ مشارك ورئيس قسم الدراسات الإسلامية جامعة الجزيرة كلية التربية (الحصاحيصا) السودان

drtarig99@gmail.com**محمد سعيد المجاهد** أستاذ مشارك جامعة البحرين said.almujahed@gmail.com

تمهيد

الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا [٢].الزهد مادتها اللغوية زهد يزهد زهدًا فهو زاهد من الزهادة. وقد ترد بمعنى الرخيص والقليل والحقير وما إلى ذلك

2

الزهد مادتها اللغوية زهد يزهد زهدًا فهو زاهد من الزهادة. وقد ترد بمعنى الرخيص والقليل والحقير وما .ضد الرغبة والحرص على الدنيا إلى ذلك

زَهَدَ فيه، كمَنَعَ وسَمِعَ وكَرُمَ، زُهْداً وزَهادَةً أو هي في الدُّنْيا، والزُّهْدُ في الدِّينِ: ضِدُّ رَغِبَ. وكمَنَعَه: :للفيروزبادي القاموس المحيط وفي .حَزَرَهُ، وخَرَصَهُ. انتهى

الزهد في الدنيا قصر – – سفيان الثوري هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، وهو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف أو كما قال **الزهد** الأمل

والمزْهدُ: القليل المال، والقليل الشيء، وإنما سُمِّي مُزْهدًا لأن ما عِنْدَه يُزْهَد فيه ويقال رَجل زَهيد العين إذا كان يُقنعُه القليلُ، ورغيب .العين إذا كان لا يُقنعهُ إلا الكثير. المزْهد هو الذي ليس عنده شيءٌ من الدنيا

عزّ وجلّ: ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في

الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾

.77 : سورة القصص ﴾ .

عمرو بن شعيب روى :حديث حسن وفي

عن أبيه عن جده :

النبي قال

كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة ولا سرف، فإنالله) :المنذري في الترغيب والترهيب ١٦٩/٣

يحب أن يرى أثر نعمته على عبده إذا أنعم عليه عبده) أخرجه الترمذي ، السنن ، ٢٨١٩ حديث حسن

فالإسلام

لا يُرغب عن الدنيا بل يرغب عن حرامها ولا يُرَغب فيها بل يرغب في العمل الصالح

ونجد أن الأعلام من أئمة علماء الإسلام قد كتبوا عن الزهد من ذلك :كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل والزهد لهناد والزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك المروزي الزهد والرقائق لنعيم بن حماد والمنتخت من كتاب الزهد والرقائق للخطيب البغدادي ومن كتب المعاصرين كتاب البحر الرائق في الزهد والرقائق للشيخ أحمد فريد وهو كتاب مشهور ومترجم لعدة لغات وغيرها من مصنفات

إن حقيقة الحياة الدنيا تتمثل في أنها دار ابتلاء واختبار، وأنها سريعة الفناء والانقضاء، وأنها تفتن المغترين بها، وتهلكهم في شعابها، وأنها لا وزن لها ولا قيمة عند الله، وأنها لا تخلو من الآفات والبليات والمنغصات، وأنها لعب ولهو وتكاثر، وأنها لا تصفوا لأحد، هذه كلها حقائق بينة لذوي الألباب، ولهذا فإن من طلب الدار الآخرة والجنة، فلا يعلق قلبه ونفسه بشيء من الدنيا إلا فيما نفع، وأن يعلم أن العون له في ذلك أن يكون زاهدًا في الدنيا بكليته، لأن الزهد طريق الرسل والأنبياء والصالحين بعدهم. والزهد: هو انصراف القلب والنفس عن طلب الدنيا والرغبة في متاعها وملذاتها، إلى طلب الآخرة والجنة، والرغبة في نعيمها وحصول السعادة الأبدية فيها، لأن الآخرة أبقى من الدنيا، وكذلك فإن متاع الدنيا وملذاتها منغصة بالآفات والابتلاءات والأمراض، ثم يقطع العبد

، ولا يرغبهم في الآخرة ليقبلوا عليها بالكلية ويتركوا الدنيا؛ بل الآخرة لا يُزهد الناس في الدنيا ليتركوها بالكلية وينقطعوا إلى الإسلام . يتخذ بين ذلك سبيلا، هو الجمع بين خيري الدنيا والآخرة. أما زهد النساك الذين انقطعوا عن الدنيا بالكلية، ورغبوا في الآخرة فهذه نافلة فرضوها على أنفسهم يفرضه يفرضها الله عليهم

ومن يزهد فيما فاض عن حاجته ويتصدق به على من ليس عنده فهذا زهد مطلوب حث الاسلام

عليه

قال جلّ جلاله: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾

9 : سورة الحشر

عنها كلها نزول الموت ومفارقة الدنيا، أما الجنة فليس فيها شيء من تلك المنغصات والآفات، بل طهرها الله وسلمها من كل ذلك. وقد جاء في الحديث عن المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والله ما الدنيا في الآخرة، إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع!»[٣]. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا، وجاءت سيرته الزكية بشيء من ذلك في مطعمه وملبسه وفراشه وسائر حياته

الزهد عند الشيخ المكاشفي

وهنا تناول شيئ من حياة الشيخ المكاشفي في الزهد والتصوف[٤] من خلال شعره. إذ أنه أحد علماء السودان الذين طار صيتهم بين السّودانيين،بل وعرف بين الناس بزهده وورعه وتقواه، لمن خالطه أو عاشره أو عاش معه .بل لا يخفي علي من جالسه أو تردد عليه في زيارته فهو إمام كأنما جاء ليحي هذا الباب من الزهد والورع والتقوى .

والهدف من ذلك التعريف بهذا الشيخ وبهذا نقف على الحالة الاجتماعية والثقافية في زمان ذلك العالم، ونتعرف على أثره وزهده في الحياة الدنيا، حيث إنه اتخذ الشعر كآلة لتثقيف مجتمعه وتعليم أهله، وإرشاد الطلاب، وقصائده التي انتشرت على نطاق واسع بين أهل السّودان كان لها أثرًا واضحًا في إصلاح المجتمع.حيث تعد بالآلاف طبع منها الديوان ، الذى يحوى على أنواع شتى من المديح النبوي، وقصائد في مدح الصوفية والتصوف الإسلامي، وأخرى في ذم النفس، والسلوك والآداب. وللأدب الإسلامي،

---

[٣] مسلم ، **الجامع الصحيح** ، حديث رقم٢٨٥٨

[٤] نشأ الشيخ المكاشفي بالجزيرة، بالسودان لذلك كانت الطريقة المكاشفية أكثر انتشارًا هناك، فكان له أتباع وتلاميذ تأثروا به، هذا هو الوعاء الذي انتشرت فيه تعاليم الشيخ. بينما نجد الطرق الصوفية الأخرى قد انتشرت في أماكن أخرى من السودان، فالطريقة الختمية مثلاً كانت أكثر انتشارًا في شمال السودان وشرقه بينما انتشر نفوذ الأنصار في غرب السودان (كردفان ودار فور).

شعرًا ونثرًا، دوّر بارزٌ في توعية الشعوب الإسلامية نحو واجباتها الوطنية والتبصير بحقائق دينها، بأسلوب يسهل فهمه لدي جميع طبقات المجتمع. والشعر وعاء للمعرفة العلمية والعواطف الإنسانية منذ القدم، وهو سلاح من أسلحة البيان، ولعله أعلاها وأقواها وأعدلها، ونحن الآن في القرن الخامس عشر الهجري نستشهد بالشعر الجاهلي ومعلقاته، بينما قل أن نستشهد بالنثر الجاهلي وما بعده من العصور، إلا أن يكون النّص حديثًا نبويًا أو قولاً مأثورًا أو حكمةً سائغةً أو خطبةً رائعةً.[٥] ونجد أن النّبي صلى الله عليه وسلم ، قد ذكر ذكر الشعر في أحاديثه النبوية، حيث رُوي عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم ، قوله: « إن من الشعر لحكمة»[٦] وفي رواية أبى داود: جاء أعرابي إلى النّبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إنَّ من البيان لسحراً ،وإن من الشعر لحكمة »[٧]. والأغراض الشعرية التي يتناولها الشعراء كثيرةٌ، ومعانيها متشعبةٌ، ولكن أشهرها خمسة كما أشار إليها أبو هلال العسكري في قوله: "ولما كانت أغراض الشعر كثيرة ومعانيه متشعبة لا يبلغها الإحصاء، كان من الوجه أن نذكر ما هو أكثر استعمالاً وأطول مدارسة له وهو: المديح، والهجاء، والوصف، والتشبب والمراثي"[٨]. وأشعار الشيخ المكاشفي أكثرها في المديح النبوي ولا نجد لونًا من ألوان الهجاء، ولا الوصف، ولا التشبيب، أما المراثي فأحيانًا،حيث رثي الشيخ المكاشفي الشيخ إبراهيم الكباشي عندما

---

[٥] زنجير، محمد رفعت، **مجلة إسلامية المعرفة**، السنة الثالثة، العدد الثاني عشر، (ماليزيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي) ص ١٩١.

[٦] الترمذي، أبوعيسي محمد بن عيسى بن سَوْرة، **السنن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، كتاب الأدب، باب ما جاء إن من الشعر لحكمة، ج٥، ص١٣٧، رقم الحديث ٢٨٤٤.

[٧] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **السنن**، (بيروت: دار الكتاب العربي)، باب ما جاء في الشعر، ج٤، ص ٤٦١ حديث رقم ٥٠١٣.

[٨] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، **كتاب الصنعاتين**، تحقيق: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (صيدا: نشر المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ1986م)، ص ١٣١.

زاره في دياره شمال الخرطوم، ورثى الشيخ المكاشفي الشيخ عبد الباقي أزرق طيبة عند وفاته، وبذلك أسهم الشعر والأدب الإسلامي، والصوفي[٩] خاصة، في البناء الحضاري للأمة الإسلامية من خلال هذه التوعية. ومن الذين أسهموا بنصيب وافر في الدعوة والتوعية الدينية عن طريق الأدب الصوفي، الشيخ المكاشفي السوداني. فقد أسهم بأشعاره الرصينة في تشكيل العقل المسلم بين أهله في السودان، حيث نشر بواسطته العلم والفقه وأحكامه وأصول العقيدة الإسلامية، وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والآداب والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن في حياته، فنشر الإسلام وآدابه الشرعية. وكان للشيخ أتباعاً في السّودان وفي مختلف بقاع المعمورة[١٠]، ينتهلون من نهله، إلا أن آثاره ما زالت باقية بين أهل السودان يتدارسونها فيما بينهم. وفي هذا الموضوع الذي قام هذا الشيخ في نشر الدعوة وإثراء الثقافة الإسلامية وسط العوام والعلماء، وذلك من خلال الأدب الصوفي الراقي الذى أنشده الشيخ المكاشفي. ولعل السبب في اتخاذه للشعر كوسيلة لنقل آرائه في الإصلاح الإجتماعي، والتعريف بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كان بسبب البداوة الغالبة على أهل مجتمعه في ذلك

---

[٩] والأدب الإسلامي تعبير فني جميل نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والإنسان والكون، وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف، والقيام بنشاط ما. انظر: نجيب الكيلاني، **مدخل إلى الأدب الإسلا مي** (قطر: كتاب الامة ، ١٤٠٧هـ) ص٣٦ أما التصوف: فقد استعملت هذه الكلمة للدلالة على السلوك، وكلمة متصوف للدلالة على السالك في الطريق وقد اختلفوا في أصل اشتقاقه، قيل إنها مشتقة من الصوف، لأن الصوفي مع الله كالصوفة المطروحة في الهواء، لا تدبير لها وقيل أنها من صفة المسجد النبوي الشريف الذي كان منزلاً لأهل الصفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتصوف هو التخلق بالأخلاق الكريمة، انظر: العجم، د. رفيق، **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، (مكتبة لبنان ط اولى ١٩٩٩)، ص١٨٣.

ومن أكثر أتباع الشيخ قبائل الكواهلة، والحسانية، والحسنات، والنوبة، في غرب السودان، وكثير من أهل الجزيرة، وبعض الأوربيين الذين اسلموا على يديه، وبعض الصوماليين والارتريين وأجناس أخرى.

sufi tariqas in the sudan edted by mw daly graduate college publications almikashfiyya:two almajdbiyy and khartoum. nuniversity of

[١٠] انظر: دالي ص١٤١-١٤٢.

الزمان، مع عدم انتشار القراءة والكتابة بينهم،(حيث أدرك الشيخ رحمه الله تعالى ثلاث حقب من الزمان المهدية والتركية وحقبة حكم الإنجليز للسودان ثم عاش بعد استقلال السودان بأربع سنوات وأشهر حيث فاضت روحه الطاهرة في مارس ١٩٦٠م) ومن ثم يكون الشعر الذي أداته الذاكرة أيسر وأنفع في نقل المعاني وتداولها بينهم. وقديماً احتفى أهل الجاهلية بالشعر والشعراء فعلقوا (المعلقات) تلك القصائد الشعرية في جوف الكعبة.

وقد توافرت بعض الدراسات في زماننا حول الشيخ المكاشفي كبعض رسائل الماجستير والدكتوراه في بعض الجامعات السّودانية[١١] ولم نقف على دراسات حول طريقته خاصة، إلا ما جمعه دالي حول (المجذوبية والمكاشفية طريقتان صوفيتان في السودان) قامت بطبعه جامعة الخرطوم كلية الدراسات العليا ١٩٨٥م وبعض الأعمال الأخرى (كالراتب، والنصائح التسع، وقصيدته شموس الأنوار في مدح النبي المختار) جمعها حفيده الشيخ إيهاب موسي الجيلي الشيخ المكاشفي، وقد طبع أيضاً كتاب التبين المفيد في شرح عقيدة التوحيد، وكتاب النمارق المصفوفة كلاهما من تأليف وشرح الشيخ محمد علي الإحيمر، طبعتا بالخرطوم بحري بالسودان.

البناء الشكلي للقصيدة النبوية[١٢]

تعتبر قصيدة المديح النّبوى في السودان واحدة من أنواع الشعر الشعبى، إذ أنّ معظم الشعراء أو الرواة في السودان، قاموا بنظم الشعر النّبوى باللغة العامية وهذا لا يقدح في صحة أنّ بعضهم نظم الشعر الفصيح في مدح النّبى صلى الله عليه وسلم ، وقد اعتمد الرواة في هذا المنحى شكلاً يقوم عليه بناء القصيدة يلتزمون به لحظة النظم، إلاّ أنّه

---

[١١] المدني ، قمر الدولة ، **عوامل انتشار الطريقة المكاشفية في وسط السودان**، رسالة ماجستير جامعة الخرطوم السودان ٢٠٠٤م

[١٢] http://aliadagcity.ahlamontada.com/t59-topic تاريخ الزيارة ٢٠١٩/٥/٢٥

لايعتبر شرطًا أساسيًا، إذ نجدهم يحيدون عنّه في بعض الأحيان، ومن خلال هذا السرد إذا قمنا باستعراض أهم ماتقوم عليه القصيدة النّبوية عند رواة المديح نجدها تتكون من الآتي:

١. العصا: وهي الافتتاحية التي يفتتح بها الراوى القصيدة، وعادة يقوم المداح بترديد هذه العصا بعد كل بيت عند تقديم القصيدة ملحنة وهي بمثابة البيت الأول للقصيدة. مثل قوله : (مولانا يا مولانا أحفظنا واتولانا نفوسنا والوالانا)

٢. افتتاح القصيدة بتوحيد الله وتنزيهه عن الشريك والشبيه، وأفراده بالملك والتصرف في هذا الكون من ناحية كونه الخالق والمتصرف في شؤون العباد، والقادر على إعطاء كلّ مخلوقٍ أوحرمانه من هذا العطاء، وعادةً مايكون ذلك مقروناً بدعاء الراوي لنفسه، أو أهله، أومشايخه، وعامة المسلمين، والاستجارة بالله من كل خطب ومكروه. كقوله رحمه الله : (مولانا يا مولانا أحفظنا واتولانا نفوسنا والوالانا

يا سامعا لى دعانا إملا بالنور وعانا

نحن ومن معانا يشكر عندك مسعانا)

٣. التثنية أو الثناء: على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ أنّ الرواة يتنقلون حسب النظم، ما بين كلمة (ثنيت على) أو (بثنى بى) النّبي الأمي صلى الله عليه وسلم ، الهادى البشير النذير، وهنا يتم إدراج عدة أشياء منها مولد النّبي صلى الله عليه وسلم ، وما صاحب ذلك من بشارات وإشارات، وآيات كونية صحبت، أو سبقت لحظة الميلاد، مثل انطفاء نار فارس، التي عبدت لمئات السنين، ولم يكن انطفاؤها حدثًا عاديًا وأنّما كان إشارةٌ كونيةٌ لحدوث حدث أكبر،

وكذلك انحسار بحيرة ساوا، والهدم الذي ظهر في قصر كسرى، وهو الإيوان الذي ظن النّاس في وقته أنه لا يمكن أنّ يتصدع لما امتاز به من عظيم التصميم والبناء. كقوله :

(ثنيت بمصطفاه الربه اصطفاه يوم يبس العاصى فاه به ينيل مناه)

٤. المعجزات: وهنا يقوم الراوي بسرد عدد من المعجزات الخالدة للنّبي صلى الله عليه وسلم ، والتي ظهرت معه مؤيدة لدعواه، من نطق الجماد، والشّجر، الحيوان، ولعل أعظم معجزة للنّبي صلى الله عليه وسلم على الإطلاق هي: القرآن الكريم، والذي يأتي ذكره في إحدى المعجزات التي صاحبت رسالة النّبي صلى الله عليه وسلم وأيدّتها. كقول الشاعر :

(من معجزاته نروي شيئا قليل الجذع الحنا والدمع اليسيل
الضب والعنكب وإرواء الغليل والماء النمير الفاض يسيل)

٥. ذكر الصحابة: وهم كلّ من لقي النّبى صلى الله عليه وسلم حال حياته وآمن به[١٣]، وهنا يقوم الراوى بإبراز فضائلهم، وصفاتهم التي اتصفوا بها، مثل: الشجاعة، والمرءوة، والذود عن حمى الإسلام، وبذل الأنفس رخيصة من أجل إقامة دين الله تعالى،

كرار المعظم شانوه بناء الكفر هدم حيشانو
رمحو سنين يشيل نيشانوه به الدين تعظم شأنو

ولا يخلو ذكرهم هنا من إرفاق بعض الكرامات التي حدثت لبعضهم من ناحية كونهم أولياء يجوز أن يجري الله تعالى، على يدي بعض منهم شيئاً من خوارق

[١٣] الخيرآبادي، محمد أبو الليث، **علوم الحديث أصيلها ومعاصرها**، (دار الشاكر، ماليزيا ٢٠١١م)، ص٣٧.

العادات، وكذلك إبراز فضائل بقية الصحابة كأبي بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وغيرهم. كقول الشاعر السوداني الشيخ هاشم بن الشيخ عبد المحمود:

أصحابو يا نعم هم أرضوا الله رضى عنهم

غمروا الكون بى دنهم شادوا الدين بالمرهف

٦. البرق: البوارق واللوامع وهي عبارة عن إشارات وبشارات، تصاحبها حالة روحية، تنتاب المحبين والعشاق، عند ذكرهم للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتفعل بهم فعل البرق حين يخطف الأبصار كلما يضيء، وهنا يصف الراوي حالته مع هذا البرق، وكيف أنه حينما يبرق، ويولول يصيب قلب العاشق تارةً بملالة، وهي النّار شديدة الاستعار، وتارةً يحرق ويكوي أحشاء المحبين.وهو عادة ما يذكره الشاعر في نهاية القصيدة.

كقول الشيخ أبو القاسم :

برق الحجاز لاح يشيل الليل يا ساري فوق قبا أم نخيل

٧. الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : وهي بمثابة ختام، وهنا يستعرض حجم صلاته على النّبى صلى الله عليه وسلم بمقادير تضاهي الكون وما حوى وأحيانا يضاهي بها عرش المولى وكرسيه وأحيانا يقارنها بالبحار والرمال والأنفاس والكلمات وغيرها، في نظم بديع تطلع نحو تكثير هذه الصلاة بأكثر ما يكون طلباً لرضاء المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي هو من رضا الله جل وعلا ويمهرها الراوي بختم ملكيتها الذي يصوره إرساله لهذه الصلاة مقرونة

باسمه حتى يثبت ملكيته لهذه القصيدة على مر الأزمان. بذا نخلص إلى أنّ القصيدة النبوية عند شعراء السّودان تقوم على عدة ركائز تتمثل في: العصا– الإفتتاحية والدعاء–التثنية أو الثناء– المعجزات – الصحابة – البرق – الصلاة. كقولالشيخ المكاشفي :

صلاة الله على المختار أحمد منجد المحتار

بها نلقا علا وستار وخيرات بلا إحصار

وكذكره لإسمه في نهاية القصيدة :

فها أنا قد كشفت غطاء أمرى بلا ريب وقد قام الدليل

فها أنا عبد الباقي اسمى وحسبي إلها واحدا ونعم الوكيل

عبيد هاشمي مستجير بمن حطت بساحته الحمول

وصلى الله ربي ثم سلم صلاة لا تحول ولا تزول

ومن صايا الشيخ المكاشفي النثرية هذه الوصية : وهو يعدُ من النثر الذي خطته يد الشيخ "ومن شروط الفقير إلى الله تعالى أنه جوال الفكر[١٤] جوهري الذكر[١٥] جميل المنازعة، قريب المراجعة لا يطلب من الحق إلا الحق، ولا يتمذهب إلا بالصدق، أوسع الناس صدراً، وأكثر الناس نفعاً، ضحكه تبسم واستفهامه تعلمٌ، مذكرٌ للغافل، ومعلمٌ للجاهل، لا يؤذي من يؤذيه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، كثير العطاء، قليل الأذى، ورعٌ من

---

[١٤] معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب لتثمر منها معرفة ثالثة، انظر: المعجم د. رفيق، **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي** مكتبة لبنان ط١، ١٩٩٩م)، ص ١٨٣.

[١٥] الذكر أصله الخلاص من النسيان بدوام صفو القلب مع الحق، موسوعة **مصطلحات الصوفية** مصدر سابق ص ٣٦٠. وهو يشير إلى أهمية ذكر الله تعالى في كل وقت وحين ، حتى يدخل العبد في دائرة(والذاكرين الله كثيرا والذاكرات)

المحرمات، متوقفٌ عن المشبهات، غوثٌ للقريب، أبٌ لليتيم، بشره في وجهه، حزنه في قلبه، مشغولٌ بفكره، مسرورٌ بفقره، لا يكشف سراً، ولا يهتك ستراً، لطيف الحركة، نامي البركة ،حي الفائدة، طيب المذاق، حسن الأخلاق، لين الجانب، جوهراً سيالاً ،ذائباً ،طويل الصمت، جميل النعت، حليم إذاُ جهل عليه، صبورٌ على من أساء إليه، لا يكون عنده جحود، ولا لنار الحق خمود، ولا خوالاً، ملولاً، ولا عجولاً، يبجل الكبير، ويرحم الصغير، أمينٌ على الأمانة، بعيدٌ عن الخيانة، ألفه التقى، خلقه الحياء، كثير الحذر، مداوم السهر، قليل التدليل، كثير التحمل، قليل بنفسه، كثير بإخوانه، حركاته أدب، كلامه عجب، لا يمت بمصيبة، ولا يذكر أحداً بغيبة، وقور ،لطيف، صبور، قليل الكلام، كثير الصلوات والصيام، سابق الجنان، يحتفل بالضيفان، ويطعم بما كان لمن كان، يؤمن بوائقه الجيران، لا سباباً ولا معاتباً، ولا نومّاً ولا ذمّاماً، ولا ملولاً،ولا قفولاً،ولا حسوداً ولا كنوداً،له لسانٌ مصون، وقوله موزون، وقلبه محزون، وفكره يتجولُ فيما كان وما يكون"[١٦].

هذه الوصية لو كتبت بماء الذهب لجاز لما بها فوائد وآداب ورقائق، كما أنّ بها جملة من مصطلحات التصوف الإسلامي منها: الفكر،وقد أشار القرآن الكريم إلى التفكر في مخلوقات الله تعالى وفي الأنفس وهو من أعظم العبادات ، حيث يزداد إيمان العبد والذكر، قال تعالى ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١ (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ(23 ﴾ [سورة الذاريات:٢٣]

وقد تطرق القرآن الكريم للذكر والذاكرين في كثير من آياته البينات كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ

[١٦] انظر: المكاشفي، **الأساس في نصائح مدير الكأس**، (السودان: مطبعة الجامعة، د.ت)، ص١٦.

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥]وصفات الزهاد العباد كترك الحسد، والصمت، والصبر،بل وفيها إشارات واضحة الى التحلى بمكارم الخصال ، والابتعاد عن سيئ الفعال، وهو مما جاء به النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥] وكثرة الصلاة، والصيام ومداومة السهر حيث أشار الشيخ إلي قول الله تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة الذاريات:١٧-١٩].

وفي ذلك ينظم الشيخ المكاشفي قائلاً:[١٧]

أقبل ثم أقبل أيّها المدبر لباب الكريم تجد الرضاء والبرّ
أسبغ للوضوء فوق الجباه عفرّ في الثلث الأخير من ذنبك استغفر
أرفع للكفوف للمولى لم تسفر مجيب الدعاء خيرو عليك يوفر

حيث حث الشيخ الناس على قيام الليل، خاصة في الثلث الأخير منه، كما حضّ على إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الاستغفار، والدعاء لله تعالى.حيث بالدعاء تتنزل الرحمات وتعم البركات ويرفع الله البلاء والغلاء والوباء .وأشار إلى الأقبال على الله تعالى في سائر الأحوال والتوجه لله عز وجل في سائر الأزمان ، وعدم الإعراض عنه سبحانه وتعالى.

[١٧] ديوان الشيخ المكاشفي ص١٤٩

والأدب مع الله ومع العباد، والأمانة حيث قال الشيخ في ذلك :[١٨] حيث أداء الديون وسدادها من أوجب الواجبات وقد أنزل الله تعالى في كتابه أطول أية في القرآن الكريم في سورة البقرة عرفت بأية الدين .

الدين والأمانة أوفوا موعود تعلو لسماء المجد بصعود

واحترام وتوقير من رأى الشمس قبلك، والشفقة والرأفة بالصغير، وفي الحديث «ليس منا من لم يوقر كبيرنا».[١٩]

فهو يدعو النّاس إلى محاسن الأخلاق، وكريم الشيم والخصال، وهذه هي الحضارة بعينها، أن يتعلم النّاس أحكام الدين والأخلاق الفاضلة، وفي النص دعوة للمعاملة الحسنة حيث دعى: إلى إكرام اليتيم وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم: عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى.[٢٠] قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ٨-١١].

حيث نظم الشيخ المكاشفي في ذلك:[٢١]

أكفلوا لليتامى والمصاب عزو عزيز قوم ذل أكرموا وعزو

أم غنياً افتقر بمالكم ميزو في الآخرة هناك كسب اليمين تجزو

---

[١٨] الديوان **الشيخ المكاشفي** ص١٥٢

[١٩] **مسند أحمد حديث رقم:** ٦٨٩٨

[٢٠] **صحيح البخاري** ،كتاب الطلاق ، حديث رقم: ٤٩٩٨ باب اللعان وقول الله والذين يرمون أزواجهم ولم

[٢٠] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (د.م: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ)، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما، ج٨، ص ٩، رقم ٦٠٠٥.

[٢١] الشيخ المكاشفي، **الديوان**، ص١٥٢.

حيث أشار إلى كفالة اليتامى والإحسان إليهم، بل أكرام العزيز الذي أصابه الذل بين قومه، وكذلك إعطاء الغنى الذي صار فقيراً كل ذلك من أخلاق النبوة.

كما أشار إلى ترك الحسد والملل وقلة الكلام إلا فيما يرضى الرحمن وفي الحديث «من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه»[٢٢] حيث قال الشيخ في حقّ الجار :[٢٣]

أقرضوا الله أحسن قرض تحظوا بالمقام المرضي

تحروا الصدق جاركم لي أذاه ولدغو لو يضربكم فوق الشدق أحملوا تشربوا سرًا غدق

وفي قصيدة أخرى :[٢٤]

بالنساء والرقيق أوصيكم ثم الجار حتى إذا سمعتم شئ كهجار

حيث أشار الشيخ إلى إكرام الجار وتحمل أذاه ، وعدم مقابلته بما يفعل .حتى ولو سمعتم من الجار ما فيه أذى وفي الحديث الشريف «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»٢٥ بل وصية النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من أحاديثه بالجار والإحسان إليه دلت على عظم أمر الجار وعدم أذاه ، وتحمل ما يحدث عنه.

كل هذه المواعظ تشير إلى زهد الشيخ عبد الباقي المكاشفي والدنيا ، بل وفي تزهيده للناس فيها ، وتوجيه وتعليمه للناس مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأفعال حتى يسير إلى ربه

---

[٢٢] **ابن حبان، محمد بن حبان التميمي البستي، صحيح ابن حبان،** كتاب الإيمان، باب ما جاء في صفات المؤمنين، حديث رقم: ٢٣١٧

الترمذي، **السنن،** كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث ٢٢٩.

[٢٣] ديوان **الشيخ المكاشفي المجموع** ص١٤٦

[٢٤] المصدر السابق ص١٥٢

[٢٥] البخاري ،**صحيح البخاري** ، كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه. حديث رقم: ٥٧٨٤

بأحسن حال، فينجو من عذاب الله وينعم بالجنان .وهذه المواعظ نراها مقتبسة من الكتاب العزيز ، ومن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

خاتمة

إن زهد الأستاذ الشيخ عبد الباقي المكاشفي زهد كامل وورعه ورع تام في طول حياته ،منذ بداية نشأته الي انتقاله إلى الرفيق الأعلى ،فمن زهده أنه لم يعلم له أحد معلوما تراه العين وتسمع له الأذن من حطام الدنيا،ومما عرف عنه انه لم يكن يدخر شيئا من المعلومات الدنيوية من المساء إلي الصباح ، نقدا كان أو ماشية ،ومعروف أنه طول حياته لم يملك حمارا واحد يركب عليه "وهو من أدني مايقتنيه الفقير في البلاد"وكذلك لم يمتلك شاة واحدة بل كان يتصدق بها وبأكثر منها وينفق مايهدي إليه مما هو محتاج إليه يعطي ما في يده ويرجو ما عند ربه ، مانقول مشهود لمن خالطه أو عاشره .بل لا يخفي علي من جالسه أو تردد عليه في زيارته فهو إمام جاء ليحي الزهد بالزهد أليس هو القائل:

إن الدراهم مكتوب عليـــها أن احببت درهما أبغضك الجبـــار
والله لا يجتمعن حب الإلـــه وحب ذاك الدرهم في قلب ذو أسرار
ولا تنكرن لقولي في كتابتها تالله لا يعرفها إلا ذو افكـــــار
مرموز عليها بالإشارة واللوائح لأهل الفتوح كالشمس في النهـار

حيث أشار إلى عدم انغماس المسلم في محبة الدنيا واللهو بها، عن عبادة الله عز وجل .

هذا باختصار حياة الزهد التى عاشها الشيخ المكاشفي ، بل مارزقه الله من رزق فهو ينفقه في سبيل الله تعالى على الفقراء والمساكين والمعوذين وأبناء السبيل، وينفق **ذلك على طلاب القرآن** الكريم حيث يدرس الطلاب في مسجده مبادئ القرأة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والفقه في الدين .

المصادر والمراجع

ديوان **الشيخ المكاشفي المجموع**

الترمذي، أبوعيسي محمد بن عيسى بن سَوْرة، **السنن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)،

محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (د.م: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ)،

المكاشفي، **الأساس في نصائح مدير الكأس**، (السودان: مطبعة الجامعة، د.ت)،

المعجم رفيق، **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي** مكتبة لبنان ط١، ١٩٩٩م)

الخيرآبادي، محمد أبو الليث، **علوم الحديث أصيلها ومعاصرها**، (دار الشاكر، ماليزيا ٢٠١١م)،

المدني ، قمر الدولة ، **عوامل انتشار الطريقة المكاشفية في وسط السودان**، رسالة ماجستير جامعة الخرطوم السودان ٢٠٠٤م

زنجير، محمد رفعت، **مجلة إسلامية المعرفة**، السنة الثالثة، العدد الثاني عشر، (ماليزيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي)

ابن حبان، محمد بن حبان التميمي البستي، **صحيح ابن حبان**

نجيب الكيلاني، **مدخل إلى الأدب الإسلا مي** (قطر: كتاب الامة ، ١٤٠٧هـ)

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، **كتاب الصنعاتين**، تحقيق: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (صيدا: نشر المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ1986م)،

الشيخ المكاشفي السوداني: أعماله وإسهامه في الإصلاح ، سعد الدين منصور محمد ، مجلة التجديد الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا ٢٠٠٩م